

الطفلة

التي لم تخف

ألاء لوصيف



المثقف
للطباعة والنشر

ألاء لوصيف

الطفلة التي لم تخف

الطبعة الأولى: 1447 هـ / 2026 م

isbn: 978 9969 08 189 3

الإيداع القانوني: 2026 / 02



تَمُرُّ الْجَدَّةُ عَلَى غُرْفَةِ حَفِيدِهَا فَتَسْمَعُ صَوْتَ بُكَاءٍ، تَقْتَرِبُ مِنَ
الْغُرْفَةِ وَتَطْرُقُ الْبَابَ بِلُطْفٍ وَتَحَاوِلُ مَعْرِفَةَ مَصْدَرِ الْبُكَاءِ وَسَطَ
الْغُرْفَةِ الْمُظْلِمَةِ، تَقُولُ بِنَبَرَةٍ مَلُوءًا الْحَنَانُ: «حَبِيبِي، مَا الْخُطْبُ؟
مَا يُبْكِي صَغِيرِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ مِنَ اللَّيْلِ؟ شَارِكُنِي
هَمَّكَ لِأَحْمِلَهُ عَنكَ، لَا لِأَتَقَاسَمَهُ مَعَكَ فَقَطْ».

يَأْتِي صَوْتُ رَحِيمٍ تَخْنُقُهُ الْعَبْرَاتُ: «إِنَّهَا أَنَا يَا جَدَّتِي، أَخِي لَمْ
يَعُدْ بَعْدُ وَجَدِّي نَائِمٌ وَظَنَنْتُكَ نَائِمَةً أَيْضًا، فَلَمْ أَجِدْ مَكَانًا أَبْكِي فِيهِ
بِمُفْرَدِي غَيْرَ غُرْفَةِ أَخِي، لِأَنِّي خَشِيتُ أَنْ تَسْمَعَانِي أَبْكِي وَأَنَا فِي
غُرْفَتِي، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ صَرِيرَ الْبَابِ الْخَارِجِي كَفَفْتُ دُمُوعِي
وَحَمَلْتُ نَفْسِي إِلَى غُرْفَتِي، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَتُبَّهِ لَوْقُوعِ خُطُواتِكَ.
لَكِنْ لَا تَقْلِقِي يَا جَدَّتِي، فَلْتَذْهَبِي وَلْتَرْتَاحِي، وَسَأَخْلُدُ إِلَى النَّوْمِ
أَيْضًا».

الْجَدَّةُ وَهِيَ تُشْعِلُ الْأَنْوَارَ وَتَقْتَرِبُ مِنَ الْحَفِيدَةِ لِتَجْلِسَ بِجَانِبِهَا
عَلَى طَرَفِ السَّرِيرِ: «حَبِيبَتِي "نور"، تَعْلَمِينَ أَنَّنِي لَنْ أَنَامَ حَتَّى
أَطْمَئِنَّ عَلَيْكَ، وَتَعْلَمِينَ أَنَّهُ يُمَكِّنُكَ مُشَارَكَتِي كُلَّ مَا يَدُورُ فِي
خُلْدِكَ دُونَ وَجَلٍ».

"نور": «وَكَيْفَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَغِيبَ عَنْهُ لُطْفُكَ؟ إِنَّكَ بِمِثَابَةِ صُنْدُوقِ
أَسْرَارٍ لِي يَا جَدَّتِي، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِسِرٍّ هَذِهِ الْمَرَّةَ يَا جَدَّتِي الْحَبِيبَةَ،
إِنَّهُ هَمٌّ يُفُوقُ كُلَّ الْهُمُومِ».

الْجَدَّةُ: «خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَا صَغِيرَتِي!»



هَذَا دَخَلَ الْحَفِيدُ وَلَمْ تَنْتَبِهْ لَا الْجَدَّةُ وَلَا "نُور" لِصَرِيرِ الْبَابِ،
كَانَ يَرْتَعِدُ مِنَ الْبَرْدِ فَاسْرَعَ إِلَى الْمِدْفَأَةِ عَسَى أَنْ يُحَسَّ بِأَطْرَافِهِ
مُجَدِّدًا، وَبَيْنَمَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمِدْفَأَةِ فِي الرَّوَّاقِ، إِذْ بِهِ يَسْمَعُ
أُخْتَهُ تَتَحَدَّثُ بِصَوْتٍ بَاكِ، فَانْتَبَهَتْ كُلُّ حَوَاسِهِ، وَخَاصَّةً أُذُنَيْهِ اللَّتَانِ
أَخَذَتَا تَرْكِيزًا مَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ تَقُولُهَا أُخْتُهُ الْحَبِيبَةُ دُونَ وَغِيٍّ مِنْهُ،
كَيْفَ لَا وَهُوَ يُحِبُّهَا فَوْقَ الْحُبِّ حُبًّا، وَمَا يُؤْذِيهَا يُؤْذِيهِ أَضْعَافًا.

أَخَذَتْ تُسَهَّبُ فِي الْحَدِيثِ تَزَامُنًا مَعَ مُسْتَوَى جَرَيَانِ عِبْرَاتِهَا:
«جَدَّتِي، إِنَّهُ لَيَحْزَنُنِي شَيْءٌ وَاحِدٌ وَيَذِمُّ قَلْبِي، وَإِنِّي أُرِيدُ الْبَوْحَ
بِهِ لِارْتِيَاخٍ، أَعْتَاجُ حَقًّا يَا جَدَّتِي إِلَى فِعْلِ هَذَا، لَيْسَ الْبَوْحُ بِهِ
لَكَ الْآنَ، كَلَّا، بَلِ الْبَوْحُ بِهِ أَمَامَ النَّاسِ جَمِيعًا. هَلْ يُمْكِنُكَ إِفْتَاعُ
صَاحِبِ الْمِنَصَّةِ غَدًا؟ أَرْجُوكِ يَا جَدَّتِي، وَقْتُهَا فَقَطْ سَتَعْرِفِينَ مَا
يُثْقِلُ كَاهِلِي، وَقْتُهَا فَقَطْ سَأَرْتَاحُ يَا جَدَّتِي، فَلَمْ يَعْذُبِي وَسْعٌ لَأَكْتُمُ
هَذَا الْأَمْرَ، أَعْتَاجُ حَقًّا أَنْ يَعْرِفَهُ كُلُّ النَّاسِ، كُلُّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ غَدًا
فِي السُّوقِ، أَعْتَاجُهُ أَنْ يَسْمَعَنِي».

تَرَدَّدَتِ الْجَدَّةُ قَلِيلًا، لَكِنَّهَا رَبَّتَتْ عَلَى كَيْفِ حَفِيدَتِهَا وَطَمَأْنَتْهَا أَنَّهُ
سَيَكُونُ لَهَا مَا تُرِيدُ بِإِذْنِ اللَّهِ.



فِي بُقْعَةٍ مِّنْ بُقْعِ الْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ، تُوجَدُ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ يَعْرِفُ كُلُّ سُكَّانِهَا بَعْضُهُم الْبَعْضَ، بَعِيدَةٌ عَنِ ضَجِيجِ الْمَدْنِ، بِالْكَادِ يَعْرِفُ أَحَدُ اسْمِهَا. وَلِدَتْ فِيهَا "نُور" وَتَرَعَرَعَتْ وَأَحَبَّتْ كُلَّ رُكْنٍ فِيهَا وَتَعَلَّقَتْ.

كَانَ السُّوقُ الْكَبِيرُ فِي قَرْيَةِ "الْبُرْج" نُقْطَةً تَلَاقٍ لِلنَّاسِ، سَوَاءً مِنْ أَهْلِهَا أَوْ مِنَ الْمَنَاطِقِ الْقَرِيبَةِ الْمُجَاوِرَةِ. وَقَدْ اعْتَادَ جَدُّ "نُور" التَّرَدُّدَ إِلَيْهِ يَوْمِيًّا قَبْلَ أَنْ يُفْعِدَهُ الْمَرَضُ فِرَاشًا، فَبَاتَ حَفِيدُهُ الْيَتِيمُ الَّذِي لَمْ يَشْعُرْ بِالْيَتِيمِ يَوْمًا ذِرَاعَهُ الْيَمَنَ.

وَقَدْ كَانَ الْجَدُّ تَاجِرًا مُخْضَرَمًا، لَهُ مَكَانَةٌ خَاصَّةٌ بَيْنَ التُّجَّارِ؛ عُرِفَ بِصِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ وَتَوَاضُعِهِ، وَهَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ حَفِيدُهُ بَعْدَ أَنْ حَلَّ مَكَانَهُ فِي الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ بَعْدَ أَنْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ.

غَيْرَ أَنَّ الْحَفِيدَ كَانَ مَحْبُوبًا حَتَّى بَيْنَ الزَّبَّانِ، كَيْفَ لَا وَهُوَ يَتَمَتَّعُ بِحِسِّ فُكَاهِيٍّ لَا يَخْلُو مِنَ اللَّطْفِ وَتَوَزِيعِ الْإِبْتِسَامَاتِ. وَبِهَذَا أَصْبَحَتْ كُلُّ الْعَائِلَةِ مَحْبُوبَةً وَمُحْتَرَمَةً فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ الْفَرِيدَةِ مِنْ نَوْعِهَا. وَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ مِنْصَةٌ تَتَوَسَّطُ السُّوقَ، يَمْلِكُهَا جَارُ "نُور"، وَعَادَةً مَا يُدْفَعُ لَهُ مِنْ قِبَلِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ يَتَسَابِقُونَ لِإِلْقَاءِ قَصَائِدِهِمْ أَمَامَ الْمَلَأِ كُلِّ يَوْمٍ، لَيْسَ لِغَايَةٍ مُّحَدَّدَةٍ، بَلْ لِأَنَّ الشَّعْرَ يَسْرِي فِي عُرُوقِهِمْ.

فِيَتَهَافَتُ النَّاسُ عَلَيْهِمْ بِالْهَتَافَاتِ وَالنَّشَاءِ وَكَذَلِكَ الْأَمْوَالِ، وَيَحْفَظُونَ أَشْعَارَهُمْ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ لِيَنْقُلُوهَا وَلِيَتَنَاقَلَهَا الْأَلْسُنُ هُنَا وَهُنَا.



وَضَعَتْ "نور" صَوْبَ عَيْنَيْهَا هَدَفًا وَلَنْ تَبْرَحَ حَتَّى تَبْلُغَ، لِذَلِكَ حِينَ اغْتَسَلَتِ الْأَرْضُ بِالضِّيَاءِ، قَفَزَتْ "نور" مِنْ سَرِيرِهَا وَهِيَ فِي أَوْجٍ اسْتِعْدَادِهَا. دَلَفَتِ الْمَطْبَخَ فَوَجَدَتْ جَدَّتَهَا قَدْ سَبَقَتْهَا، فَأَدْرَكَتْ أَنَّهَا لَيْسَتْ الْوَحِيدَةُ الَّتِي لَمْ تَنْمَ عَمِيقًا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، بَلْ حَتَّى جَدَّتَهَا الْمَسْكِينَةُ الَّتِي ظَلَّ الْقَلْقُ يَنْهَشُ قَلْبَهَا عَلَى حَفِيدَتِهَا. شَعَرَتْ "نور" بِوُخْزَةٍ تَأْيِيبِ الضَّمِيرِ، خَاصَّةً وَأَنَّ الْأَمْرَ لَا يَسْتَدْعِي قَلْقَ جَدَّتِهَا، وَلِسَانُ حَالِهَا يَقُولُ: «إِنِّي بِخَيْرٍ حَقًّا يَا جَدَّتِي، الْأَمْرُ لَا يَعْنِينِي أَنَا فَقَطْ، بَلْ يَعْنِي الْأُمَّةَ كُلَّهَا!».

أَسْرَعَتْ "نور" إِلَى حُضْنِ جَدَّتِهَا وَأَمْطَرَتْهَا بِالْقُبَلَاتِ وَبَابْتِسَامَةٍ دَافِئَةٍ تَقُولُ مِنْ خِلَالِهَا أَنَّهَا حَقًّا بِخَيْرٍ وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ يَسْتَدْعِي قَلْقَ جَدَّتِهَا. تَنَاوَلَ أَرْبَعَتُهُمْ فُطُورَ الصَّبَاحِ سَوِيًّا، وَقَدْ عَلِمَ جَدُّهَا وَشَقِيقُهَا بِمَا تَتَوَي فِعْلُهُ، وَكَانَتْ رَدَّةٌ فِعْلُهُمَا كَرَدَّةٌ فِعْلِ الْجَدَّةِ، لَمْ يُعَارِضَا.

لَطَالَمَا كَانَتْ الْحِنِيَّةُ تُحِيطُ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ؛ يَرَأْفُ كُلُّ وَاحِدٍ بِالْآخَرِ وَيُسَانِدُهُ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ. وَقَدْ سُرَّتْ "نور" أَنَّ جَمِيعَهُمْ سَيَرَا فِقُونََهَا الْيَوْمَ إِلَى السُّوقِ، حَتَّى جَدُّهَا عَلَى كُرْسِيِّهِ الْمُتَحَرِّكِ، لِيُنْصِتُوا إِلَى ابْنَتِهِمُ الْعَزِيزَةِ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِكُلِّ حُبٍّ، وَلِأَنَّهُمْ دَوْمًا مَا يَتَّقُونَ بِهَا وَبِقَرَارَاتِهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّ نُضْجَهَا يُفُوقُ سِنَّهَا، فَهِيَ حَتْمًا لَنْ تُقَدِّمَ عَلَى خُطْوَةٍ كَهَذِهِ إِلَّا إِنْ كَانَ بِالْأَمْرِ الْجَلَلِ، إِلَّا إِنْ فَكَرَتْ مَلِيًّا وَخَطَّطَتْ.



خَرَجُوا مُتَجِهِينَ إِلَى السُّوقِ، وَهُنَاكَ أَبَدَى التُّجَّارُ وَالزَّبَّائِنُ سَعَادَتَهُمْ بِرُؤْيَا الْجَدِّ وَقَدْ اسْتَعَادَ بَعْضًا مِنْ عَافِيَتِهِ، وَقَدْ كَانَتْ سَعَادَةُ يَشُوبُهَا الْإِسْتِغْرَابُ؛ فَالْعَائِلَةُ عَادَةً لَا تَخْرُجُ جَمِيعَهَا وَيُوجُوهُ بَدَتْ عَازِمَةً عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مَا.

دَنَا الْجَدُّ مِنْ صَاحِبِ الْمَنَصَّةِ الَّذِي حَيَّاهُ بِحَرَارَةٍ وَاسْتَقْبَلَ طَلَبَهُ بِصَدْرِ رَحْبٍ دُونَ أَنْ يَقْبَلَ فَلَسًا وَاحِدًا مِنْهُ. وَبَعْدَ أَنْ أَلْقَى أَوَّلَ شَاعِرٍ شِغْرَهُ، أَمْسَكَ صَاحِبُ الْمَنَصَّةِ الْمِيكْرُوفُونَ وَوَجَّهَ كَلَامَهُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا: «سَلَامُ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ بُرْجِنَا، سَلَامُ اللَّهِ عَلَى ضِيُوفِنَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ. وَأَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فَتَاةً يُقَالُ لَهَا "نُور" تَوَدُّ أَنْ تُعِيرُوهَا سَمْعَكُمْ لِذَقَائِقِ مَعْدُودَةٍ. تَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُهِّمِّ أَنْ تَعْرِفُوا نَسَبَهَا وَلَا حَتَّى شَخْصَهَا، وَلَكِنَّ مَا يَهُمُّ هُوَ الرِّسَالَةُ الَّتِي تَوَدُّ إِيْصَالَهَا، ثُمَّ سَتَفَارِدُ بِكُلِّ هُدُوءٍ».

عَمَّ الْهُدُوءُ الْمَكَانَ بَعْدَ أَنْ تَجَمَّعَ مُعْظَمُ مَنْ قَصَدَ "الْبُرْجَ" فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، مُنْصِتِينَ مُتَسَائِلِينَ عَنْ فَحْوَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ، غَيْرَ أَبْهِنَ بِمَصْدَرِهَا؛ فَهُمْ يَنْصِتُونَ إِلَى صَغِيرِهِمْ كَمَا يَنْصِتُونَ إِلَى كَبِيرِهِمْ بِكُلِّ اهْتِمَامٍ، هَذَا مَا تَنْصُرُ عَلَيْهِ أَخْلَاقُهُمْ.

شَكَرَتْ "نُورُ" صَاحِبَ الْمَنَصَّةِ الَّذِي نَاوَلَهَا الْمِيكْرُوفُونَ، وَسَلَّمَتْ عَلَى كُلِّ الْحَاضِرِينَ، وَأَلْقَتْ نَظْرَةً خَاطِفَةً عَلَى أَهْلِهَا الَّذِينَ شَجَّعُوهَا بِنَظَرَاتِهِمْ الْمُوَازِرَةِ لِتُكْمِلَ مَا بَدَأَتْهُ.

اسْتَجْمَعَتْ قُوَاهَا، وَنَظَرَتْ لِلْجَمْعِ الْمُتَجَمِّهِرِ أَمَامَهَا، وَأَخَذَتْ تَقُولُ بِكُلِّ رِقَّةٍ وَثَبَاتٍ فِي الْآنِ نَفْسِهِ: «نَحْنُ لَسْنَا فِي لُغْبَةٍ هُنَا يَا إِخْوَانِي، إِنَّنَا فِي اخْتِبَارٍ، وَإِنَّهُ لِيَحْزُنُنِي أَنْ تُحِيطَ الْغَفْلَةُ إِخْوَانِي...»



وَأَبْدَأُ بِتَذْكِيرِ نَفْسِي الَّتِي تُرِيدُ اتِّبَاعَ الْهَوَى: يَا نَفْسُ، تُؤْبِي، فَالْمَوْتُ لَا يَعْرِفُ عُمْرًا. الْمَوْتُ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ.

إِنْ كُنَّا نُرِيدُ أَنْ نَلْعَبَ، فَلْنَتَّخِذْ أَنْفُسَنَا فِي لُغَبَةٍ، حَسَنًا؟ الشَّاشَةُ أَمَامَنَا، وَكُلُّ تَرْكِيزِنَا عَلَى مَا يَجْرِي دَاخِلَهَا، وَلَوْحُ التَّحَكُّمِ بِأَيْدِينَا؛ هَذَا يَبْنِي بَيْتًا، بَلْ قَصْرًا، وَذَلِكَ قَبْلَ فِي وَظِيفَةٍ لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِهَا حَتَّى. هَذِهِ تَزَوَّجَتْ فَارِسَ أَخْلَامِهَا، وَتِلْكَ تَخَرَّجَتْ مِنْ أَعْرَقِ جَامِعَةٍ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ مَتَاعِ هَذِهِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ مَاذَا بَعْدُ؟ أَتَدْرُونَ؟ أَحِبُّ هَذَا السُّؤَالَ كَثِيرًا: «مَاذَا بَعْدُ؟»؛ دَوْمًا مَا يُذَكِّرُنِي بِضَالَةِ هَذِهِ الدُّنْيَا مَهْمَا بَلَغْتَ إِنْجَارَاتِنَا فِيهَا. بَلَغْتَ مُرَادَكَ، وَلَكِنْ مَاذَا بَعْدُ؟ سَتَمُوتُ وَسَتَتْرُكُ كُلَّ هَذَا خَلْقَكَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

لِذَا، إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا أَنْجَزْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَا أَسَفًا عَلَى إِنْجَارٍ قَدْ ذَهَبَ أَذْرَاجُ الرِّيَّاحِ. جَرِيمَةٌ فِي حَقِّ أَنْفُسِنَا أَنْ نَنْسَى الْهَدَفَ الْأَسْمَى لَوْجُودِنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، جَرِيمَةٌ فِي حَقِّ أَنْفُسِنَا أَنْ نَظُنَّ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الشَّاشَةِ الَّتِي أَمَامَنَا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ، وَبِمُجَرَّدِ ظُهُورِ:

" The game is over"

تَرَى حَوْلَكَ مَا هُوَ أَكْبَرُ بِكَثِيرٍ مِنْ مُجَرَّدِ شَاشَةٍ وَ لَوْحِ تَحَكُّمٍ. حِينَ يُذَكِّرُنَا الْمَوْتُ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَمُذِرُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا عَاجِلًا أَمْ آجِلًا، طَالَ الزَّمَنُ أَوْ قَصُرَ، وَقْتُهَا فَقَطْ لَا أُرِيدُ أَيًّا مِنَّا أَنْ يَتَحَسَّرَ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ.

The Game Is Over



لِهَذَا أَنَا هُنَا الْيَوْمَ، أَمَّةٌ لِلَّهِ، فَقِيرَةٌ إِلَيْهِ، لَا أَرْجُو سِوَاهُ. أُرِيدُ تَذْكِيرَكُمْ بِالْعَمَلِ الْجَادِّ فِي جَمْعِ الزَّادِ، وَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى. إِخْوَانِي، بَغْضِ النَّظَرَ عَنْ أَعْمَارِكُمْ وَظُرُوفِكُمْ، فَلتَعْمَلُوا قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا. لَا تُوجَلُّوا، لَا تَتَكاسَلُوا، لَا تَيَاسُوا، لَا تَتَهَاوَنُوا، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَسْتَصْغِرُ حَجْمَ مَعْصِيَةٍ مَا، فَتَكُونُ الْخُطْوَةُ الْأُولَى إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ بِكَثِيرٍ؛ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

إِخْوَانِي، إِنَّ عَدُوَّنَا هُوَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ، وَأَمَّا نَحْنُ فَأِخْوَانٌ، يُحِبُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا الْخَيْرَ لِأَخْرٍ، نَتَنَاصَحُ وَنَتَعَاوَنُ عَلَى التَّقْوَى، نَأْخُذُ بِيَدِ كُلِّ إِنْسَانٍ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا نُحَاسِبُ أَحَدًا، فَاللَّهُ يُحَاسِبُنَا، وَلَا يَغْلُو بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِنَا.

نَتَرَاحِمُ، وَلَا نَسْتَتْنِي أَحَدًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ؛ فَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ. نَعُودُ إِلَيْهِ مَهْمَا بَلَغَتْ ذُنُوبُنَا عَنَانَ السَّمَاءِ.

طَالَمَا نَحْنُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، فَلْنُجَاهِدْ، وَلَا نَتَوَقَّفْ عَنْ جِهَادِ أَنْفُسِنَا حَتَّى يَتَوَفَّانَا اللَّهُ إِلَيْهِ، وَلَنَكُنْ بِذَرَّةٍ خَيْرٍ أَيْنَمَا حَلَلْنَا.

لَمْ يَفْتِ الْأَوَانُ بَعْدُ لِلْإِصْلَاحِ يَا إِخْوَانِي، بِإِمْكَانِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَبْدَأَ بِدَايَةِ جَدِيدَةٍ فِيمَا يُرْضِي الْإِلَهَ، وَيَعْزِمَ عَلَى أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا قَوِيًّا يُحِبُّهُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ.

من أخلاقنا

نتناصح

ننصت
إلى كبارنا

نتعاون على البر
والتقوى

لا نحقر أحدا
ولا نحكم على أحد

لا نستغفر المعصية
أبدا
نصايا
كما لا نحقر المعروف

هَذَا مَا كَانَ يُثْقِلُ كَاهِلِي، وَأَرْجُو أَنْ تَعْذِرُونِي إِنْ أَطَلْتُ الْحَدِيثَ، وَلَكِنْ أَرْجُوكُمْ: لَا تَنْسُوا الْعَمَلَ لِأَخْرَاكُمْ، أَرْجُوكُمْ لَا تَسْتَمِعُوا لِلْمَلْعُونِ، أَرْجُوكُمْ لَا تُؤْذُوا أَنْفُسَكُمْ. لَا أُرِيدُ أَنْ أَفْقِدَ أَيًّا مِنْكُمْ فِي الْجَنَّةِ يَوْمَ نَلْقَى اللَّهَ الرَّحِيمَ.

أَرْجُوكُمْ يَا إِخْوَانِي، مَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ وَنَمُضِي؛ فَتَمَسَّكُوا بِحَبْلِ اللَّهِ وَلَا تَفَرَّقُوا.

ثُمَّ أَجْهَشْتُ بِالْبُكَاءِ، وَلَكِنَّهَا حَاوَلَتِ التَّمَاكُ حَتَّى آخِرِ لَحْظَةٍ. كَفَكَفْتُ دُمُوعَهَا، وَوَاصَلْتُ حَدِيثَهَا بِصَوْتٍ تَخْنُقُهُ الْعَبْرَاتُ بَعْدَ أَنْ سَأَلْتُ دُمُوعُ كَثِيرٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ:

«لَا أُرِيدُ أَنْ يَمَسَّنَا الْعَذَابُ يَا إِخْوَانِي، فَلْنَعْبُدِ اللَّهَ حَقَّ عِبَادَةٍ، وَلَا نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، فَلْنَرْجُ مَا عِنْدَهُ مِنْ نَعِيمٍ، وَلْتَرْتَعِدْ فَرَائِسُنَا حِينَ نَتَذَكَّرُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. دَعُونَا لَا نَكُنْ مِثْلَ الَّذِينَ سَبَقُونَا، وَالَّذِينَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. إِنَّ رَبِّي اللَّطِيفُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، لَا تَقْلَقُوا، فَقَطْ فَلْنُحَاوِلْ أَنْ نَثْبُتَ مَا اسْتَطَعْنَا، وَلْنُسَاعِدْ بَعْضُنَا بَعْضًا بَدَلًا أَنْ يَفْتِنَ بَعْضُنَا بَعْضًا. وَلْنُرَدِّدْ دَوْمًا: لَبَّيْكَ، إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ. دَعُونَا نُحَاوِلْ مَا اسْتَطَعْنَا، أَرْجُوكُمْ... أَرْجُوكُمْ...».

إِنْهَارَتْ «نُورٌ» وَلَمْ تُكْمِلْ كَلِمَتَهَا، فَهَرَعَتْ إِلَيْهَا جَدَّتْهَا وَأَخَذَتْهَا فِي حِضْنِهَا، وَاعْتَذَرَتْ مِنَ الْجُمْهُورِ، وَبِأَيِّمَاءٍ مِنْهَا لِصَاحِبِ الْمَنَصَّةِ، مَسَحَ دَمْعَةً كَانَتْ قَدْ هَرَبَتْ مِنْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، وَأَخَذَ الْمَيْكْرُوفُونَ، وَشَكَرَ الْجَمِيعَ عَلَى حُسْنِ الْإِسْتِمَاعِ، أَذِنَّا لَهُمْ بِالرَّحِيلِ فِي حَالِ سَبِيلِهِمْ.



تَفَرَّقَ الْجَمْعُ بِهَدُوءٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَخَذَ رَأْسَهُ يَعْصِفُ بِأَفْكَارِ
أَيْقَظَتَهَا حِكْمَةٌ وَوَعْظُ هَذِهِ الصَّيِّئَةِ. رَغِمَ أَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ حَقِيقَةَ
كُلِّ مَا تَلَقَّضَتْ بِهِ، بَيِّدَ أَنَّهُمْ شَعَرُوا بِالتَّقْصِيرِ حَقًّا، وَبِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَتَغَافَلُونَ وَيَمْضُونَ فِي حَيَاتِهِمْ وَكَأَنَّهُمْ سَيَعِيشُونَ أَبَدًا.
حَمَلَتِ الْجَدَّةُ حَفِيدَتَهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا وَهِيَ تَتَمَتِّمُ لَهَا: «كَمْ أَنَا
فُخُورَةٌ بِكَ يَا حَبِيبَتِي يَا نُورَ»، وَعَادُوا جَمِيعًا إِلَى بَيْتِهِمْ فِي
هُدُوءٍ وَسَكِينَةٍ.

بَعْدَ أَنْ دَلَفُوا بَيْنَهُمُ الدَّافِئَ، اخْتَضَنُوا «نُورًا» الَّتِي شَعَرَتْ بِرَاحَةٍ
كَبِيرَةٍ أَخِيرًا، وَبِحِمْلٍ قَدْ أَزِيحَ مِنْ عَلَى قَلْبِهَا بَعْدَ أَنْ أَفْرَعَتْ مَا
فِي جُعْبَتِهَا، وَقَدْ ارْتَاحَ وَقْتُهَا كُلُّ أَهْلِ الدَّارِ وَأَهْلُ «الْبُرْجِ» وَحَتَّى
أَهْلُ الْمَنَاطِقِ الْمُجَاوِرَةِ بَعْدَ أَنْ تَنَاقَلَ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ كَلَامَهَا.
وَمُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ، أَصْبَحَ كُلُّ مُسْلِمٍ يَبْذُلُ كُلَّ مَا فِي وَسْعِهِ، وَلَا
يَسْتَصْغِرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَكُلَّمَا تَنَاسَى ذَكَرَ نَفْسَهُ بِالْغَايَةِ
الَّتِي خُلِقَ مِنْ أَجْلِهَا، فَتَجِدُهُ يَحْمِلُ الدُّنْيَا فِي يَدِهِ لَا فِي قَلْبِهِ،
شَاكِرًا لِأَنْعَمِ اللَّهِ، فَلَا وَقْتَ لَدَيْهِ لِسَخَطٍ وَلَا لِكِتَابٍ.
لَمْ تَعُدْ تُشْغِلُهُ الدُّنْيَا بَعْدَ الْآنِ، فَهُوَ مَشْغُولٌ بِجَمْعِ الزَّادِ وَالسَّغْيِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَبِهَذَا لَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَخْتَقِرُ النَّاصِحَ مَهْمَا كَانَ حَالُهُ،
بَلْ وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَخْتَقِرُ أَحَدًا أَوْ يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ؛ فَهَذِهِ
لَيْسَتْ وَظِيفَتُهُمْ.



إِنْتَشَرَ الْوُدُّ وَالتَّرَاحُمُ بَيْنَهُمْ؛ فَهَذِهِ تَدْعُو لِتِلْكَ بِالْهَدَايَةِ وَالصَّلَاحِ
مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهَا كَأَنَّهَا أُخْتُ مَنْ نَفْسِ الرَّحِمِ، غَيْرَ أَنَّهَا أُخْتُ مَنْ
رَحِمٍ آخَرَ. وَهَذَا يَنْهَى ذَاكَ عَنْ مُنْكَرٍ بِكُلِّ لُطْفٍ وَمَحَبَّةٍ وَتَشْجِيعٍ
لِفِعْلِ الْخَيْرِ.

وَضَلَّتْ جَدَّتُهَا تُرَدِّدُ قَائِلَةً: «وَكَمْ مِنْ أَمَةٍ اسْتَيْقَظَتْ فَأَيَّقَظَ اللَّهُ بِهَا
أُمَّةً. إِنِّي فُخُورَةٌ بِكَ يَا حَفِيدَتِي الْغَالِيَةُ، كَوْنِكَ لَمْ تَحْتَقِرِي مَا
يُمْكِنُكَ فِعْلُهُ حَتَّى وَأَنْتِ بِهَذَا الْعُمُرِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَهَذَا وَاجِبٌ كُلِّ
مُسْلِمٍ: أَنْ يَسْعَى وَيَتْرُكَ النَّتِيجَةَ عَلَى اللَّهِ، وَالْأَيُّ يَقُولُ: مَاذَا يُمْكِنُنِي
أَنْ أُغَيِّرَ وَأَنَا مُجَرَّدُ أَنَا؟».

وَبِهَذَا أُنَارَتْ «نُورٌ» بَصَائِرَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَحَاوَلَتْ الْعَمَلَ
بِنَصِيحَتِهَا قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ هِيَ الْآخَرَى.

قِصَّةٌ مُخْتَلَقَةٌ وَلَكِنَّ الْأَخْلَاقَ لَا تُخْتَلَقُ أَبَدًا

الطفلة التي لم تخف

هي القصة الأولى من سلسلة ' قِصَّةٌ مُخْتَلَقَةٌ ولكن الأخلاق لا تُخْتَلَقُ أَبَدًا ' وهي عبارة عن عمل خيالي سردي وعظمي. تتجسّد الكلمة بوصفها فعلاً أخلاقياً، ويتحوّل الصوت الفردي إلى ضميرٍ جمعيّ يوقظ الغفلة ويستنهض الهمم. تحكي القصة عن طفلةٍ تتجاوز حدود العمر، لتقف في فضاءٍ عامٍّ وتواجه السائد بخطابٍ صادق، لا يدّعي امتلاك الحقيقة، بل يدّكر بها في بساطتها الأولى: الغاية من الوجود، ومسؤولية الإنسان عن اختياراته. ينسج النص عالماً قروياً هادئاً تتقاطع فيه البراءة مع الوعي، والعاطفة مع الججاج الأخلاقي، في بناءٍ سرديٍّ يجمع بين البعد التربوي والبعد الجمالي، ويقدم خطاباً إصلاحياً قائماً على الرحمة، لا على الإدانة، وعلى الدعوة إلى العمل، لا الاكتفاء باللوم. إنها قصة عن شجاعة القول، وعن أثر الكلمة حين تصدر من قلبٍ صادق؛ كلمةٌ صغيرة في ظاهرها، لكنها قادرة على أن تُحيثَ شرخاً في جدار الاعتیاد، وتفتح نافذة للتأمل والمراجعة الذاتية.



المثقف
الكتاب والنشر والتوزيع
E-mail: elmouthakaf2@gmail.com
Elmouthakaf

